

تاريخ الضبط

العربي



إهداء الطلاب
يزيد وسعد الوائلي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ..

وبعد:

تزخر الحضارة الإسلامية بمزيج رائع من الفنون والإبداعات والجماليات، ومن هذه
الجماليات في الفن الإسلامي فن الخط، والكتابة بالخط العربي.

التي لاقت رواجاً وتميزاً فريداً لدى الفنان المسلم.

فكتب الآيات القرآنية وزين بها المساجد، وكتب المصحف الشريف في الورق،

وزينت واجهات المجالس بالخط المزخرف والمنقوش بمختلف أنواعه.

وتركت لنا الحضارة الإسلامية كماً واسعاً من الإبداعات الخطية نفخر بها اليوم

وتبقى أبد الدهر شاهداً على جماليات الفن الإسلامي وروعة الخط العربي.

في هذا البحث سوف أتحدث عن تاريخ الخط العربي وتطوره معتمداً على بعض

المراجع التي توفرت لي واطلعت عليه، هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله

وصحبه وسلم



المبحث الأول

تاريخ الخط العربي

الخط العربي آية من الجمال وإعجاز في البيان اللغة العربية قديمة قدم التاريخ نفسه، وهي لغة الإعجاز والبيان: اقتصت بالقوة والفصاحة، وحببت بجوامع البلاغة والرصانة، فالرسول [قال :أُتيت جوامع الكلم وأنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش).

ولعظمة هذه اللغة وتفردها وتميزها عن اللغات الأخرى اختارها الله تعالى لتكون لغة للقرآن الكريم، هذا الكتاب المقدس الذي وإن نزل بلغة العرب خاصة إنما كان كتاباً عالمياً موجهاً للناس كافة على لسان أفصح الخلق يقول تعالى لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين { الآية ١٠٣ من سورة النحل. ونظراً لمكانة هذه اللغة وقداستها أخذ الناس من القدم يقبلون على تعلمها ويسعون إلى إتقان خطها والتفنن في رسمه وكتابته نظراً لمكانته وقداسته وحسبهم من ذلك أن هذه اللغة هي لغة الوحي المنزل على خاتم النبيين فتعددت أنواع الخطوط، وغدت آية في الجمال والروعة تسحر أعين الناظرين فيقفون بإجلال يتأملون قباب المساجد وواجهاتها ويبحثون عن كل مكان مزيّن بهذا الخط الرائع الجميل يتمتعون أعينهم بالنظر إليه. (١)



(١) فن الزخرفة والخط العربي، ج٢، جمع/ مؤسسة الإيمان، بيروت، دار الرشيد، دمشق، ط١، ١٤٠٩هـ.

المبحث الثاني

نشأة الخط العربي

نظريات وآراء كثيرة تتحدث عن نشأة الخط العربي، بعضهم يقول: إن سيدنا آدم عليه السلام كتب على الطين قبل موته، ولما أصاب الأرض الطوفان خص الله سبحانه وتعالى سيدنا إسماعيل بالكتابة فتعلمها، وهناك من يقول "إن الخط ليس من صنع البشر وإنما هو وحي من الباري عز وجل إلى آدم وإدريس".

وهناك دراسات تقول: إن الخط العربي مشتق من الخط النبطي، حيث عثر على بعض النقوش العربية التي يعود تاريخها إلى ما قبل الإسلام، ويرى العديد من المؤرخين أن الخط الذي عرف في الحجاز جاء من الحيرة والشام عن طريق دومة الجندل.



وكان الخط العربي معروفاً قبل الإسلام عند المناذرة واللخمييين في الحيرة، وعند الغساسنة في تخوم الشام، وعند القرشييين في مكة، والأوس والخزرج في المدينة، وثقيف في الطائف، وفي بعض مدن شمالي شبه الجزيرة العربية كدومة الجندل، ووجدت عدة نقوش نبطية تشبه إلى حد كبير أقدم النقوش العربية المعروفة، مثل نقش أم الجمال المؤرخ سنة ٢٥٠م، ونقش النمارة المؤرخ سنة ٣٢٨م، ونقش زيد المؤرخ سنة ٥١٢م، وكل هذه النقوش تدل على أن الخط العربي اشتق من الخط النبطي، وفي صدر الإسلام ذكر أهل السير أن النبي محمد [أمر عبد الله بن سعيد أن يعلم الناس الكتابة في المدينة، ويظهر من ذلك أن الكتابة دخلت المدينة قبل مكة، وفي عهد الخليفة عثمان عندما جمع القرآن الكريم أرسلت المصاحف إلى مكة والشام، فسارع الناس إلى

نسخها، وتنافسوا في ذلك وتفننوا في تنسيقها وتتميقها في الحقيقة: إن الخط العربي عُرف قبل عصر النبوة بقرون عدة، فقد وصل إلى الحجاز مع التبشير بالديانة المسيحية والتجارة التي كان القرشيون يمارسونها في "رحلتي الشتاء والصيف" بين شمال الجزيرة العربية وجنوبها الغربي وجنوبها الشرقي، كما يدل على ذلك آثار القوافل في الصحراء، واستعمل الخط العربي في كتابة المعلقات، وحمل أسماء الأقاليم التي حل وارتحل منها، فكان (الحيري) و(الأنباري) و(الحجازي) وهو غير (الثمودي) و(الصفوي) و(اللحياني) الذي ربما تشكل من تزاوج حروفه مع حروف خط عربي آخر، كما افتخرت الموارد العربية بما جوده الأعلام العرب القدامى الذين كانوا في العرب البائدة على رأي مرامر بن مرة وأسلم بن سدره وعامر بن جدره حتى أوصلوا مراحلهم للأنبار والحيرة والحجاز على يد بشر بن عبد الملك.



وقد تعددت الآراء حول خطي (النسخ) و (الكوفي) إذ يرى بعضهم أن هذين الخطين تطورا بشكل مستقل عن الكتابة النبطية، بحيث ظهر النسخ في الحجاز والكوفي في جنوب العراق، ومما يعزز هذا الرأي ازدهار الحيرة كعاصمة للمملكة اللخمية العربية المسيحية التي ظهرت كمركز ثقافي هام في منطقة خصبة تقع غرب نهر الفرات، واستمرت لمدة ثلاثة قرون، وبعد موت النعمان الثالث عام ٢٠٦م حكمها الفرس قبل أن يفتحها جيش المسلمين بعد ذلك بنحو نصف قرن.

وكان الخط الكوفي يستخدم للكتابة على الحجارة خاصة على جدران المساجد، وكذلك على العملات النقدية المعدنية.

أما النسخ فكان يستخدم في كتابة البرديات. إلا أن مدينة الكوفة نفسها لم تكن موجودة قبل ظهور الإسلام إنما بناها المسلمون في جنوب العراق لتكون قاعدة للجيش العربي

هناك، وقد شيدها سعد بن أبي وقاص عام ٨٣٦م فأصبحت عاصمة للدولة الإسلامية في العراق، كما أنها ظلت مركزاً هاماً للثقافة الإسلامية لمدة ثلاثة قرون.

وهكذا فإن الخط الكوفي – وإن سمي بالكوفي – قد ظهر في الحجاز أولاً حيث إن القرآن الكريم قد كتب بهذا الخط في المدينة قبل بناء الكوفة. وعد الخط الكوفي مفضلاً لكتابة وحى القرآن الكريم فكتبوه على سائر المواد المتيسرة في العصر، كما تلقوه عن النبي محمد [وكتب القرآن كما نزل وجمع في عهد الخلفاء الراشدين والصحابية الكرام، وتعد فكرة جمعه الأخيرة على يد الخليفة عثمان بن عفان بين دفتي مصحف واحد نقطة الانطلاق الأولى لانتشار القرآن مع الفتوح الإسلامية بالخط الكوفي المفضل، كما تشهد بذلك قطعتان من مصحف منسوبتان لعثمان بن عفان ولعلي بن أبي طالب محفوظتان في متحف طوب قبو في استنبول، كل ذلك كان في الفترة التي سبقت تحول مركز الخلافة إلى الكوفة، وبعد نشوء البصرة والكوفة وقيام التعليم فيهما بدأت العناية بتجويد الخط الكوفي، هذا الخط الذي تأقلم بأشكال الأقاليم التي امتدت ما بين وراء النهر شرقاً إلى الشمال الأفريقي غرباً إلى أن وصلت أنواعه الاثني عشر وهي: الإسماعيلي، المكي، المدني، الأندلسي، الشامي، العراقي، العباسي، البغدادي، المشعب، الريحاني، المجود، المصري، وأضيف المدني نسبة للمدينة المنورة الذي تفرع إلى ثلاثة فروع: هي المدور والمثل والتئم.

واكتسبت هذه الأنواع من الخطوط الكوفية وجوهاً جديدة، هي وجوه رسوم لافوارق خصائص لاكتسابها طابعاً خاصاً في كتابة المصاحف، حيث اعتقد المسلمون أن الخط الكوفي هو الخط الذي تفرّد الخالق بإيحاء كتابته للآيات التي أوحاها على لسان نبيه محمد [وقالوا: إن الخط توقيف من عند الله استقاد البشر في تركيب حروفه عن طريق العقل البشري] > وبعد مرور مئة سنة تمكنت الكتابة من ترسيخ الدولة الإسلامية الناشئة في أعمال المنشآت الدينية كالمساجد والمآذن، بحيث لم يعد في الإمكان نسبتها إلى الفنون التي سبقت الإسلام.



وظل الخط النسخي القديم في خدمة الدواوين الرسمية، وذلك لمرونته وسرعة كتابته فاستخدمه العامة في أغراضهم اليومية المختلفة وفي الخدمات العلمية، ودخلت الزخرفة إلى الخط العربي، حيث تعهد الأمويون بتنشيط حركة الفنون التشكيلية والخط منذ البدء في الحفر على المرمر والفسيفساء وفي زخرفة المساجد منها : قبة الصخرة والجامع الأموي وقصر المشتى وقصر عمره وقصر الحير وقصر الجوسق والقلاع، كما تعهد الناس بتزويق المصاحف وجلودها وتزيين جدران الدور.



المبحث الثالث

جماليات الخط والحروف العربية في الفن الإسلامي

كان فن الكتابة من أهم الفنون الإسلامية، وقد أدى الاهتمام بهذا الفن إلى تطوير الخط العربي وتحسينه، وتجميل حروفه وتقويتها ومدّها وزخرفتها بالأزهار والأوراق النباتية. (٢)

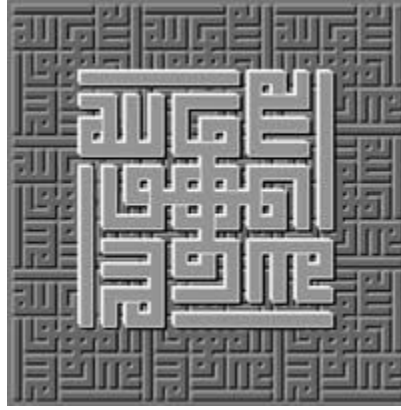
وتعتبر زخرفة الأوراق هي الأقدم في هذا المجال (مجال الزخرفة)، وقد استفاد الفنان المسلم من تطور الحساب في سبيل خلق أنماط جديدة، خاصة في زخرفة الأسقف. (٣)

فالخط العربي فن رائع وأصيل شغل الكثير من الباحثين والمهتمين فناً ونشأة ومدارس وأنواعاً.

ومن هنا فقد ترابطت الفنون الإسلامية بالخط العربي والزخرفة، وذلك عندما وضعت النظريات وصنفت المصنفات من قبل الرواد الذين كانوا يدرسون الفنون الإسلامية، وقد رعى العرب فنهم وتعهدوا ابتكاراتهم فيه بما ينسجم وعقليتهم ودينهم الإسلامي الجديد، فالخط العربي من أهم العناصر الزخرفية التي استخدمها الفنان المسلم في موضوعاته، ويظهر ذلك في كتابة الآيات القرآنية.

(٢) الأندلس والفن الإسلامي، كاظم شهود طاهر، أزمنة للنشر، الأردن، ط ١، ٢٠٠١م، ص ٦٧

(٣) فن الزخرفة والخط العربي، ج ١، جمع/ مؤسسة الإيمان، بيروت، دار الرشيد، دمشق، ط ١، ١٤٠٩هـ.



حروف العربية:

لقد كانت الحروف العربية مفرطحة، متباينة، منبجعه، ولو تتبعنا النقوش التي عثر عليها في أرجاء مختلفة من بلاد العرب لوجدنا أن أقدم النصوص التي ظهر فيها رسم الحرف العربي كانت في شمال الجزيرة العربية، وهي نقوش ثمودية ولحيانية، ونبطية.^(٤)

واستطاع الفنان المسلم أن يخضع هذه الحروف لحاسته الفنية بالتطويل تارة والحشو تارة وبالتبسيط والانتقاء والتسلسل تارة أخرى، حتى أخرج صوراً جميلة فنية اشتهرت وأعجب بها العالم كله، وليس المسلمون فقط أو العرب، فالخط العربي هو أحد أهم وأبرز الفنون التي أهدتها الحضارة الإسلامية إلى العالم، وحظي باهتمام مؤرخين ونقاد غربيين، ومنهم من أوضح تأثير فن الخط العربي على الفنون الغربية مثل سبنسر سميث الذي كتب مقالاً عام ١٨٢٠ حاول فيه تفسير شريط الكتابة الكوفية في صندوق العاج الشهير في كاتدرائية بايه وفيلمن الذي درس عام ١٨٣٠ الصفحة الأولى من مخطوط لرؤيا يوحنا اللاهوتي، ولاحظ أن في إطارها تقليداً عجبياً للكتابة العربية في القرن الحادي عشر، كما ترجم الدكتور زكي محمد حسن رائد مؤرخي الفن العربي كتاباً بعنوان "تراث الإسلام" عام ١٩٣٦ كتبه ثلاثة من مؤرخي الفن الغربيين هم كرستي، أرنولد، بريجز ذكر فيه كريستي بالنص: الكتابة العربية التي هي كل ما قدمه العرب أنفسهم للفن الإسلامي تعد حيثما وجدت دليلاً على سيادة الإسلام وعظيم تأثيره.

(٤) الخط العربي جذوره وتطوره، إبراهيم ضمرة، مكتبة المنار، الأردن، ط٣، ١٤٠٨هـ، ص ٢٢

كما ألف الصنّاع الأوربيون شكل الخط العربي بالتدريج مع أنهم لم يستطيعوا أن يقرؤه، ومن الأدلة على معرفتهم ذلك قطعة من العملة كان قد سكتها أوفاملك مرسيه ٧٥٧ – ٧٩٦ وهي الآن محفوظة في المتحف البريطاني، وهي شبيهة بالدينار الإسلامي، وفيها كلمتا الملك أوفاملك باللغة اللاتينية وحولهما كتابة عربية منقولة نقلاً دقيقاً.

تحسين الخط العربي:

إن الخط ملكة تنضبط بها حركة الأنامل بالقلم على قواعد معينة، وهذه الملكة تتزين بالتعليم وتقوى بالتمرين والاجتهاد، وليس كل خطاط يمكنه أن يكون خطاطاً مبدعاً محترفاً ومتميزاً، وحسن الخط كامن في بعض الأفراد كمن النار في الحجر، لما وهبه الله تعالى من الاستعداد الفطري، فإذا ما اشتعل به نبغ نبوغاً عظيماً من غير كبير عناء، وأول من اشتهر بتحسين الخط من كتاب الدولة الأموية /قطبة المحرر/ وكان أكتب أهل زمانه، وهو الذي بدأ بتحويل الخط العربي من الشكل الكوفي إلى الشكل الذي هو عليه الآن، وينسب إليه اختراع أربعة أقلام جديدة في مقدمتها القلم الجليل وقلم الطومار.

أما في العصر العباسي فبرز (ابن ملقه) الوزير المعروف الذي كان خطه مضرب الأمثال في البهاء والجمال، فجود الخط ووضع موازين الحروف بأبعاد هندسية حتى وصل هذا الفن – على رأي الخطاط أحمد الباري – إلى مرتبة لا تضاهى وتطور الخط فناً وقواعد حتى العصر العثماني؛ إذ قام الخطاط التركي أحمد قره حصارى المولود سنة ٨٧٣ هـ بالجمع بين قواعد شيوخه الذين أخذ منهم فاستنبط طريقة خطية خاصة به، تجمع ما اختلف فيه من الخصائص والطرق التي بدأ بها أولاً، وتميز هذا الخطاط بخطه الجلي، وتشهد له آثاره الخطية بطول باعه وعلو منزلته تمثلها كتاباته في جامع السليمانية، وقد قال عنه الأثرانك: إنه يتبوأ المنزلة الخامسة بين الخطاطين الأقطاب في تركيا، ويقول الدكتور شوقي ضيف في كتابه العصر الجاهلي: إن الخط العربي حدث له التطور والنمو في الحجاز نفسها، فقد كانت بها حياة تجارية مزدهرة جعلتهم يأخذون الخط المعيني أولاً ويتطورون به إلى خطوطهم اللحيانية والشمودية

والصفوية، ثم لما ظهرت مملكة النبط واستخدمت الخط الآرامي وتطورت به، وتفرق أهلها بعد سقوطها في داخل الجزيرة العربية وعلى طول طريق القوافل التجارية نشروا قلمهم النبطي فهجر عرب الحجاز الخط المعيني وأخذوا يحاولون النفوذ من الخط النبطي إلى خطهم العربي الجديد مستحدثين به ضروباً من التطور حتى أخذ شكله النهائي وفي الحجاز انطلقت حداثة الكتابة العربية على مراحل، وفي مراكز متعددة وذلك في عصر النبوة لشدة لزومها ولتدوين القرآن الكريم:

الخاتمة والنتائج

النتائج:

- الخط العربي مرآة تعكس الحلم الخالص بانتزاعه اللغة من حقيقتها البشرية، وتقديمها في شكل فني ، وبشكل أكثر تحديداً .
- الخط هو الفن الذي يعد نفسه متوفراً على هذه الصفة وقائماً على بنية متميزة ، وقواعد هندسية وزخرفية.
- الخط فن متطور دون شك لأنه مقترن باللغة وبالحروف وطريقة إضفاء الحياة عليها من أشكال زخرفية وهندسية.
- بالتالي هو فن الكتابة، وهناك الكثير من الشعوب التي توليه عناية فائقة، وشعوب أخرى لاتعيره الاهتمام، ولكن الفنان المسلم يهتم به كثيراً.
- ارتبطت قدسية الخط العربي من خلال تفنن الخطاطين بكتابة السور القرآنية.

الخاتمة

وأخيراً نستطيع القول إن الخط العربي في الوقت الراهن يتصدر في كل مجال توافر له سواء في لوحة جدارية أو في صفحة من كتاب أو مقطع من حائط بني أو آنية معدنية، أو فخارية أو زجاجية أو قطعة قماش أن يبث فيها فنه المتوهج والمتألق في آية كريمة أو حديث شريف أو حكمة أو بيت شعر، فالحرف العربي يستخدم في تكرار إيقاعي

عبر قيم ضوئية أو صوتية ليوحى ببعء منظوري، وكأنه منعكس على مرآة ويتدرج في نماذجه في انسجام حروفه ليتبدى، وكأنه ظلال متلاحقة لرؤيا ثابتة تعد من أجمل الفنون التي عرفتها البشرية، هذا وصى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المراجع

١. الأندلس والفن الإسلامي، كاظم شهود طاهر، أزمنة للنشر، الأردن، ط١، ٢٠٠١م.
٢. فن الزخرفة والخط العربي، ج١، ج٢ جمع/ مؤسسة الإيمان، بيروت، دار الرشيد، دمشق، ط١، ١٤٠٩هـ.
٣. الخط العربي جذوره وتطوره، إبراهيم ضمرة، مكتبة المنار، الأردن، ط٣، ١٤٠٨هـ.

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع
١	المقدمة
٢	المبحث الأول: تاريخ الخط العربي
٣	المبحث الثاني: نشأة الخط العربي
٧	المبحث الثالث: جماليات الخط والحروف العربية في الفن الإسلامي
٨	حروف العربية
٩	تحسين الخط العربي
١٠	النتائج
١٠	الخاتمة
١١	المراجع